

منبر المحراب

الإمام الباقر عليه السلام

مرتبّي الأمة ومعلمها

السنة السادسة عشرة

العدد ٩٤٠ - ٢٧ / جمادى الثانية / ١٤٣٢ هـ

الموافق ٢٠١١/٣١ أيار م

محاور الموضوع الرئيسية:

١. خامس الشموس
٢. باقر العلوم
٣. معلّم الأمة ومؤدبها

الهدف:

تسليط الضوء على بعض من فضل الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، على الأمة علماً وأدباً، وبعض شهادات القوم في ذلك.

تصدير الموضوع:

عبد الله بن عطاء المكي: «ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين»^(١).

(١) الإرشاد، ص ٢٨٠.

خامس الشموس:

الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، خامس أئمة المسلمين وخلفاء رسول الله ﷺ. ولد في المدينة المنورة يوم الجمعة غرة شهر رجب عام سبعة وخمسين من الهجرة المباركة، واستشهد سنة مائة وأربع عشرة، فآتم من عمره الشريف سبعاً وخمسين سنة.



أمّه أم عبد الله فاطمة بنت الحسن (المجتبى)

عاش مع جدّه الحسين أربعة أعوام، ومع أبيه تسعة وثلاثين عاماً، وبعد أبيه ثمانية عشر عاماً. كان في أيام إمامته بقية ملك عبد الملك بن مروان، وملك سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك من الحكام الأمويين^(١). وفي النصّ على إمامته يذكر عثمان بن خالغ أنّ الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، لمّا مرض مرضه الذي استشهد فيه، جمع أولاده محمداً والحسن وعبد الله وعمر وزيداً والحسين، وأوصى إلى ابنه محمد وكنّاه الباقر، وجعل أمرهم إليه^(٢).

باقر العلوم:

يُفهم من الأحاديث الشريفة الواردة عن رسول الله ﷺ وأبنائه من الأئمة المعصومين عليهم السلام، أنّ الإمام عليه السلام سُمّي بالباقر من قبل النبي ﷺ. ففي الرواية عن جابر بن عبد الله الأنصاري، أنّ رسول الله ﷺ قال له:

«يا جابر، إنّك ستبقى حتى تلقى ولدي

محمد بن علي بن الحسين بن علي بن

أبي طالب، المعروف في التوراة بالباقر. فإذا لقّيته، فاقرّته مني السلام. فدخل جابر إلى علي بن الحسين عليه السلام، فوجد محمد بن علي عليه السلام عنده غلاماً، فقال له: يا غلام، أقبل، فأقبل. ثم قال له: أدبر، فأدبر. فقال جابر: شمايل رسول الله ﷺ وربّ الكعبة؛ ثم أقبل على علي بن الحسين، فقال له: من هذا؟ قال: ابني وصاحب الأمر بعدي، محمد الباقر»^(٣).

حسب ما يظهر من الرواية أنّ الله تعالى سمّاه «الباقر» أما لماذا سُمّي بالباقر، فذلك لأنّه عليه السلام نبش العلوم ووسّسها وفرّعها وشعبها.

قال في القاموس المحيط: «بقرة، شقّه ووسّعه، والباقر محمد بن علي الحسين عليه السلام لتبخره في العلم»^(٤).

وقد أجاب جابر الجعفي (أحد كبار أصحابه) على سؤال: «لِمَ سُمّي الباقر باقراً؟ قال: لأنّه بَقَرَ العلم بقرّاً، أي شقّه شقّاً وأظهره إظهاراً»^(٥).

معلّم الأمة ومؤدبها:

كان الإمام أبو جعفر عليه السلام مصداقاً لسماحة الإسلام وخلقه، وتجلياً عظيماً

(٣) كتاب الأمالي، للشيخ الصدوق، ص ٣٥٣.

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ج ١، ص ٣٧٥، باختصار.

(٥) علل الشرائع، للشيخ الصدوق، ج ١، ص ٢٢٣.

(١) الطبرسي في «إعلام الوري في أعلام الوري»، ص ٢٥٩.

(٢) كفاية الأثر للخزاز القمي، ص ٢٣٩.

إليه يصعد الكلم الطيب

لهذا الدين في سلوكه ومواقفه وعلاقاته وأحاديثه، فعلاً وتقريراً، ويكفي ما رواه محمد بن سليمان، حيث قال:

«كان رجل من أهل الشام يختلف إلى أبي جعفر عليه السلام وكان مركزه بالمدينة، يختلف إلى مجلس أبي جعفر عليه السلام يقول له: يا محمد (يعني الإمام عليه السلام)، ألا ترى أنني إنما أغشى مجلسك حياءً مني منك، ولا أقول إن أحدًا في الأرض أبغض إليّ منكم أهل البيت... فإنما اختلافي إليك لحسن أدبك... قال محمد بن سليمان: فصار الشامي الأموي بعد ذلك من أصحاب أبي جعفر عليه السلام»^(١).

وهذه قصة ذلك الذي أراد أن يعظ الإمام عندما رآه في ساعة حارّة يتصبّب عرقاً، وهو يظنّ أنّ ذلك طلب الدنيا، فقال له: شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، (كيف بك) لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال؟ قال عليه السلام: «لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحال، جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله تعالى، أكفّ بها نفسي عنك وعن الناس. وإنما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله.

فقلت: يرحمك الله، أردت أن أعظم فوعظتني»^(٢).

ومن المعلوم أنّ الإمام الباقر عليه السلام،

هو الذي فتح مجالس العلم في المدينة، حتى بات يرتادها كبار علماء الأمة ومحدّثيها في مختلف أصناف العلوم، حتى اشتهر حال مجلسه في كل الأنحاء، وتصاغر أمام عظمة الإمام فحول العلم وأساطين الأدب.

ينقل عبد الله بن عطاء المكي - وهو من كبار معاصري الإمام ومخالفه - يقول: «ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام». ولقد رأيت الحكم بن عتيبة على جلّالته في القوم بين يديه كأنه صبي بين يدي معلّمه»^(٣).

وكان جابر بن يزيد الجعفي أحد كبار أصحابه، قد حفظ عنه ثمانين ألف حديث.

كان جابر هذا إذا روى الحديث عن محمد بن علي قال: «حدّثني وصيّ الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، محمد بن علي بن الحسين عليه السلام»^(٤).

وقد اعترض عليه بعضهم أنك ترسل الحديث ولا تسنده، فقال عليه السلام: «إذا حدّث الحديث فلم أسنده، فسندي فيه: أبي عن جدي عن أبيه، عن جده رسول الله ﷺ عن جبرئيل، عن الله عزّ وجلّ»^(٥).

«وسأل رجل عبد الله بن عمر - وهو

شيخ كبير - عن مسألة، فلم يدر بما

(٣) الإرشاد، ص ٢٨٠.

(٤) الإرشاد، ص ٢٨٠.

(٥) الإرشاد، ص ٢٨٤.

يجيبه، فقال: إذهب إلى ذلك الغلام، فسله وأعلمني بما يجيبك، وأشار بيده إلى محمد بن علي الباقر، فأتاه، فسأله فأجابته، فرجع إلى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر: إنهم أهل بيت مفهّمون»^(٦).

وقال الجاحظ - العالم الكبير والأديب النحرير -: «قد جمع محمد بن علي بن الحسين عليه السلام صلاح حال الدنيا بحذاقها في كلمتين: صلاح جميع المعاش والتعاشر ملء مكيا: ثلثان فطنة وثلاث تغافل»^(٧).

وقال محمد بن مسلم - وهو أحد كبار أصحاب الإمام وأصحاب ولده جعفر عليه السلام -: «ما شجر في رأيي شيء قطّ إلا سألت عنه أبا جعفر عليه السلام، حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث، وسألت أبا عبد الله عن ستة عشر ألف حديث»^(٨).

وهذا علّم الإسلام الخفّاق، ومنبع علوم آل محمد الدفّاق، محيي الدين ومجدّدّه، ناصر الحقّ ومؤيّدّه، الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سرّه يقول:

«نحن فخورون أنّ منا باقر العلوم، أسمى شخصية في التاريخ، لم ولن يدرك أحد منزلته غير الله والرسول ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام»^(٩).

(٦) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج ١، ص ٣١٥.

(٧) البيان والتبيين للجاحظ، ج ١، ص ٨٤.

(٨) رجال الكشي، ص ١٠٩، والمفيد في الاختصاص، ص ٢٠١.

(٩) الوصية الخالدة للإمام الخميني (قده)، ص ١٤.

(١) كتاب الأمالي، للشيخ الطوسي، ص ٢٦١.

(٢) الإرشاد، للشيخ المفيد، ص ٢٨٤.